الخطاب الحجاجي في أرجوزة (ذم الصّبوح) لابن المعتز

د. مازن الناصر/ حمص

الآداب والعلوم الإنسانية

المُلَخَّص

تناولَ هذا البحثُ الخطاب الحجاجي في أرجوزة (ذمّ الصّبوح) لابن المعتز، محاولًا الكشف عن مقوّماته، ومبادئه، وأساليبه المتمثلة في عرض القضية الخلافية، ومناقشتها، وتباين موقفي الشّاعر وصاحبه حول الصّبوح والغبوق.

بدأ البحثُ بمقدمةٍ أشارتْ إلى دور الازدهار العلمي الذي شهده العصر العباسي في بروز قصائد وأراجيز استندت إلى الحجاج في خطابها الشّعري، ثم تناولَ بالدّرس بنية الخطاب الحجاجي في أرجوزة ابن المعتز، مُبيّنًا أنّها قامتْ على عرضِ القضّية، وبيان موقفي الشّاعر وصاحبه منها، ثم عُنِي البحثُ بالوقوف عند الوسائل البلاغيّة التي جسّدتْ جمالية الأرجوزة وشعريتها قبل أن يُختتمُ بأبرز النتائج التي خلصَ إليها.

الكلمات المفتاحية: ابن المعتز، أرجوزة ذم الصّبوح، الشّعر العباسي، الخطاب الحجاجي.

The Argumentative Discourse in Ibn al-Mutazz 's Arjuzah (Condemning Morning Drinking)

Dr. Mazen al-Nasser

Abstract

This research examines the argumentative discourse in Ibn al_Mutazz s' arjuzah (condemning Morning Drinking) attempting to reveal its components, discussing it, and highlighting the differing stances of the poet and his companion regarding morning and evening drinking

The research began with an introduction that highlighted the role of the cultural flourishing witnessed during the Abbasid era in the emergence of poems and arjuzahs that relied on argumentation in their poetic discourse. It then delved into studying the structure of the argumentative discourse in Ibn al_Mutazz 's arjuzah, demonstrating that it was built upon presenting the issue and clarifying the positions of the poet and his companion towards it. Subsequently, the research focused on the rhetorical devices that embodied the aesthetic and poetic qualities of the

arjuzah, before concluding with the most prominent findings.

Keywords: Ibn al_Mutazz, arjuzah (condemning Morning Drinking), Abbasid poetry, Argumentative Discourse.

المقدمة:

ازدهرتِ الحركةُ العلميةُ في العصر العباسي، فكثرتِ التّرجمةُ، وتنوّعتِ الثقافاتُ، وغُرِفَتِ المنظومات التّعليميّة، وانتشرتِ المناظرات العلميّة، وتعددتِ الفرق الكلامية، فتمخض عن ذلك كله شعرٌ عمد فيه أصحابه إلى عرض آرائهم ومواقفهم في كثيرٍ من المسائل العلمية والثقافية، ولم تكن القضايا الاجتماعيةُ بعيدةً عن هذا النّوع من الشّعر، فقد أبدعَ الشّاعر ابن المعتز[1] (ت296هـ)

[1] ابن المعتز: هو " عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي؛ أخذ الأدب عن أبي العباس المبرد، وأبي العباس ثعلب وغيرهما، كان أديباً بليغاً شاعراً مطبوعاً مقتدراً على الشعر، قريب المأخذ سهل اللفظ، جيد القريحة، حسن الإبداع للمعاني، مخالطاً للعلماء والأدباء معدوداً من جملتهم. له من التصانيف: كتاب الزهر والرياض، وكتاب البديع، وكتاب مكاتبات الإخوان بالشعر، وكتاب الجوارح والصيد، وكتاب السرقات، وكتاب أشعار الملوك، وكتاب الآداب." وفيات

في أرجوزته (ذمّ الصّبوح) في تجسيد بنيةٍ حجاجيةٍ في موضوعٍ اجتماعيٍّ يتعلّقُ بمجالس اللّهو والشّراب، والاختلاف حول الوقتِ الذي تحلو فيه تلك المجالس. وبناءً على ذلك، بُنِي الخطابُ الحجاجيُّ للأرجوزة، وبوساطته قدّمَ الشّاعر صوتين متناقضين، متعارضين، أحدهما فضّلَ الصّبوح، وثانيهما فضّلَ الغبوق، وقد استعانَ كلُّ صوتٍ منهما بما يلزمُ من الحجج والأدلة والبراهين التي تدعم موقفه في ذلك الموضوع.

أهمية البحث:

تتمثلُ أهمية البحث في إبراز مقوّمات الخطاب الحجاجي في أرجوزة (ذمِّ الصّبوح) وتحليل بنيته التي نهضتْ على أساسِ تقديم موقفين متناقضين حول قضية الصّبوح والغبوق، ما يسهمُ في الكشف عن الوسائل التي انتهجها ابن المعتز في تأكيد الرّأي ودحض ما يخالفه.

هدف البحث:

يسعى هذا البحث إلى تتبعِ أسس الخطاب الحجاجي ومبادئه المتمثلة في اللوغوس (Logos) والباتوس (Pathos) والإيتوس (Ethos)، والكشفِ عن الوسائل البلاغية التي وظّفها الشّاعر في تجسيد جمالية الأرجوزة.

أسئلة البحث:

1- ما تعريف الخطاب الحجاجي؟
2- ما المحاور التي نهضَ عليها البناء الحجاجي في أرجوزة (ذمّ الصّبوح)؟

الأعيان، وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1، 1900، ج3، ص77.

3- ما تجليات الخطاب الحجاجي؟

4- ما الوسائل الأسلوبيّة التي جسّدت جمالية الخطاب الحجاجي في الأرجوزة؟

منهج البحث:

استند البحثُ إلى تحليل أرجوزة (ذمّ الصّبوح) بناءً على الأسس الخطابيّة التي أبرزتِ الحجاج المتمثّل في عرضِ القضيّة الحجاجيّة، وتقديم موقفين متناقضين، الأوّلُ منهما مدحَ (الصّبوح) وجسّده صديقُ الشّاعر، وثانيهما ذم الصّبوح وهو موقفُ ابن المعتز، وقد استعان كلُّ طرفٍ منهما بمسوّغاتٍ تدعم موقفهما، وتدحض موقفَ الآخر.

الخطاب الحجاجي في أرجوزة (ذمّ الصّبوح) لابن المعتز:

تعددتْ دلالات مادة (حجج) في لسان العرب، منها ما يدلُّ على واحدةٍ من شعائر الإسلام (الحج)، ومنها ما يفيد معنى الحول أو العام، ومنها ما يعني القصدَ والطّريق المستقيم، غير أنَّ ما يهمُّ في هذا السِّياق هو دلالتها على المحاججة والبرهان، فقد جاء في لسان العرب: " حاججته أحاجُّهُ حجاجًا ومحاجةً حتى حججته أي غلبته بالحجج التي أدليت بها.... والحجّةُ: البرهان؛ وقيل: الحجة ما دوفع به الخصم.."[1]

أمَّا الحجاجُ اصطلاحًا فهو أسلوبٌ يوظّفه صاحبُ الخطاب للردِّ على خصومه، ودحض حججهم بالدليل والبرهان، وهو "جنسٌ خاصٌّ من الخطاب يُبنى على قضيةٍ خلافيةٍ، يعرضُ فيها المتكلّمُ

[1] لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ، مادة (حجج).

دعواه مدعومةً بالتبريرات عبر سلسلةٍ من الأقوال المترابطةِ ترابطًا منطقيًا قاصدًا إقناع الآخر بصدقِ دعواه، والتّأثير في رأيّهِ وموقفه، أو سلوكه تجاه تلك القضيّةِ"[1]

ويوظّف المتكلم في الخطاب الحجاجي أدواتٍ لغويةً، وأساليب حجاجيةً، مثل، الاستدلال السّببي، والحجج العقلية، والأدلة المنطقية، وتعدد الأصوات أو البوليفونية، وغير ذلك من الأساليب والوسائل التي تسهم في تحقيق الغاية المتوخاة في إقناع المتلقي، وهذا ما أكده أوليرون (Oleron) الذي رأى أن غاية الخطاب الحجاجي تتمثل في محاولة المتكلم أن يقنع المتلقي بوضعيةٍ ما بوساطة مجموعة من الحجج والأدلة.[2]

ويختلف الخطاب الحجاجي عن مفهوم الاستدلال في أنّ الأوّل " لا يعدو أن يكون حجاجًا أو استدلالًا طبيعيًا غير برهاني" [3] كأن تقول: (إنّ الجوَّ غائمٌ، إذن ستمطر) يدلُّ المثال على احتمالية هطول المطر، ما يعني أنه استنتاج احتمالي. أما الاستدلال المنطقي فيُعنى بتقديم براهين، ويُبنى على قياس منطقي.[4] كأن تقول: (كلُّ إنسانٍ فانٍ، زيد إنسان، زيد فان)، أي إنّ استنتاج أنّ زيد فان هو استنتاج حتمي، وضروري لأسباب منطقية.

[1] معجم تحليل الخطاب، باتريك شارودو . دومنيك منغنو، تر: عبد القادر المهيري، وحمادي صمود، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، ط1، 2008، ص70.

[2] ينظر: نظريات الحجاج، قراءة في نظريات معاصرة، جميل حمداوي، بحث منشور في مجلة المنهاج، ع: 70، صيف 2013، ص99.

[3] اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، دار العمدة، المغرب، ط1، 2006، ص15.

[4] المرجع نفسه، ص15.

ويستند الخطاب الحجاجي إلى ما يُعرف بالسُّلّم الحجاجي الذي يقوم على بناء علاقة تراتبية للحجج التي تفضي إلى النتيجة. [1]

وقد مثّلتْ أرجوزةُ (ذمِّ الصّبوح) لابن المعتز الخطابَ الحجاجي خير تمثيل، إذ عمد مبدعها إلى إقناع خصمه بآرائه وأقواله عبر ما ساقه من أدلة وبراهين، موظفًا مجموعة من الأدوات الحجاجية والوسائل الأسلوبية لتحقيق غرضه في التأثير والإقناع في آنٍ واحد، إذ تجسّدتْ وظيفة التأثير فيما تضمنته الأرجوزة من صورٍ فنيّة، أما وظيفة الإقناع فقد تجلّت في توظيف أدوات الخطاب الحجاجي، وأساليب العلماء في دراساتهم[2]، وعلى ذلك ليس بغريب أن يشيد كثيرٌ من النّقاد والباحثين بالأرجوزة، فذكر أبو منصور الثعالبي (ت 429 هـ) أنَّ وصفَ الطّبيعة في الأرجوزة من أحسن ما حفظه من الشّعر الذي قيل في عامة الرياحين[3]، ووصفها الصفدي (ت764هـ) بأنّها درّةٌ يتيمةٌ، وفيها يقول: " أثبتُ هذه المزدوجة بِطُولِهَا لما فيها من بَدَائِع التَّشْبِيه وغرائب الِاسْتِعَارَة ، وَقد عارضه فيها الشريف أبو الْحسن علي بن

[1] اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، ص20.

[2] الشعر التعليمي في القرون الأربعة الأولى، عصمة غوشة، رسالة دكتوراه، إشراف : شوقي ضيف، سنة 1970، ص159.

[3] من غاب عنه المطرب، أبو منصور الثعالبي، المطبعة الأدبية، بيروت، ط1، 1309 هـ، ص32.

الحسين بن حيدرة الْعقيلِيّ، وَعكس مَقْصُوده، ومدح فِيهَا الصّـبوح، وَلَكِن لَيست كهذه فتّانة، فَإِن هَذِه درةٌ يتيمة وَتلك مــرْجَانَة "[1]، وكذلك أشاد

بها طه حسين[2] وأوصى بقراءتها لتحفيز الشّعراء على محاكاة هذا الشّعر.

يقوم البناء الحجاجي في أرجوزة (ذمّ الصّبوح) على ثلاثة محاور، هي:

1- المحور الأول: عرض القضية، (المفاضلة بين الصّبوح والغبوق):

استهل ابن المعتز أرجوزته بالإيحاء إلى القضيّة الجدلية المتمثلة في المفاضلة بين الصّبوح والغبوق، وذلك في إشارته إلى لوم صاحبه له على تركه الصّبوح، وفي ذلك يقول:

[1] الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ط1، 2000، ج17، ص251.

[2] وفي ذلك يقول: أوصي بقراءة هاتين القصيدتين (يقصد أرجوزة ذمّ الصبوح، والأرجوزة التاريخية لابن المعتز) لا لأن واحدة منها تذمُّ الصبوح وتحمد الغبوق، ولا لأن الأخرى تتناول حوادث تاريخية قد نجدها بسهولة في الكتب التاريخية، بل لأن في قراءة هذا النوع ما قد يبعث شعراءنا على محاكاة هذا الشعر، وأؤكد لكم أن هذه المحاكاة تعود بشيء كثير على الشعر في هذا العصر، فأجملُ ما فيه أنه بريء كل البراءة من التكلف، لم يبحث عن لفظ غريب، ولم يتكلف معنى غريبًا، وإنما هو يأخذ الأشياء التي حوله، فيعبّر عنها بالألفاظ التي تدور على ألسنة الناس جميعا." ينظر: من حديث الشعر والنثر، طه حسين، دار المعارف، مصر، ط1، 1936، ص174 ـ 175.

لِي صاحِبٌ قَدْ لامني[1] وَزادَا فِي تَرْكَـيِ الصَّبــوحَ ثُمَّ عادا

قــالَ ألا تَشْــرَبُ بــالنَّـــهارِ وَفِي ضِياءِ الْفَجْرِ وَالأسْحارِ[2]

يشكّل هذان البيتان تمهيدًا لعرضِ مسوّغاتِ الصّديق في تفضيل الصّبوح، ولومِ ابن المعتز على رفضه الشّرب في الصّباح، ونستشف من خلالهما أنَّ الشّاعر لم يعرض القضية الجدلية عرضًا مباشرًا، وإنّما عمد إلى الإيحاء بالخلاف بينه وبين صديقه حول مسألة المفاضلة بين الصّبوح والغبوق، وذلك بدلالة الفعل (لامني)، لينتقل بعد ذلك إلى عرضِ أسباب اللوم في المحور الثّاني من القصيدة.

2- المحور الثّاني: عرضُ رأي صديق ابن المعتز في الصّبوح:

يخصص ابن المعتز جزءًا من أرجوزته لعرضِ رأي صديقه في أسباب تفضيله الصّبوح على الغبوق، ومن ذلك قوله على لسان صاحبه:

إذا وَشَى بــاللَّيْلِ صُبْـحٌ فَافْتَضَحْ وَذَكَّرَ الطَّائِرَ شَجوٌ فَصَـدَحْ

[1] ورد: (ملني) في كتاب أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم، أبو بكر الصولي، مطبعة الصاوي، ط1، 1936، ص251.

[2] ديوان عبد الله بن المعتز، فسر ألفاظه الغريبة ووقف على طبعه محي الدين الخياط، مطبعة الإقبال، بيروت، د.ت، ص306.

وَالنَّجْمُ فِي حَـوْضِ الغروْبِ وَارِدُ وَالْفَجْرُ فِي إثْرِ الظَّلامِ طارِدُ

وَنَفَضَ اللَّيلُ عَلَى الرَّوْضِ النَّدا وَحَرَّكَتْ أَغْصانَهُ رِيحُ الصبَّا

وَقَدْ بَدَتْ فَوْقَ الِهـــلالِ كُـرتُهُ[1] كَهامَةِ الْأَسْودِ شابَتْ لِحْيَتُهْ

فنوّرَ[2] النَّـارَ بِبَعْـــضِ نُـــورِهِ وَاللَّيْلُ قَدْ رَفَّعَ مِـــنْ سُتُورِهِ

وَقــالَ شُـرْبُ اللَّيْلِ قَــدْ آذانا وَطَمَسَ الْعُقُـولَ وَالْأَذْهـانا

أَمـــا تَرَى الْبُسْتانَ كَيْفَ نَوَّرَا وَنَشَرَ المَنْثُورُ بُـرْداً[3] أَصـفَرَا

وَضَحِـــكَ الْوَرْدُ على الشَّقائِقِ وَاعْتَنَقَ الْقَطْرَ اعْتِناقَ الوامِقِ[4]

فِـــي رَوْضَةٍ كَحُلَـــةِ الْعَرُوسِ وخــدمٌ كَهــامَــةِ الطَّاووسِ

وَياسَمِينٍ فِي ذُرَى الْأغْصــانِ مُنْتَظِـــمٍ كَقِطَـعِ الْعِقْـيـانِ[5]

يُلاحظُ في هذه الأبيات أنَّ مسوّغات الصّديق في تفضيل الصّبوح على الغبوق تقوم على أدلةٍ وحججٍ ترتبط بأمرين اثنين، أولهما متعلّق بدلالة الضياء، على أساس أنَّ الصّباح يكشفُ جمال

[1] ورد: (غُرّته) في كتاب أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم، الصولي، ص251.

[2] ورد: (فَخَمَّشَ) في كتاب أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم، الصولي، ص251.

[3] ورد : (زَهْراً) في كتاب أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم، الصولي، ص251.

[4] الوامق: المحب.

[5] ديوان عبد الله بن المعتز، ص307

الطّبيعة بخلاف الليل الذي يحجب ذاك الجمال، وهذا يفضي ـ حسب زعم الصّديق ـ إلى غياب أمر مهم عن جلسات اللّهو، وهو التّمتع برؤية الرّياض، والورود، والأزهار.

وقد استند ابن المعتز في سياق ذكره خطاب صديقه إلى التشبيهات والاستعارات في وصف جمال الطّبيعة التي أبدعَ في تصوير فتنتها وروعتها، ولا غرو في ذلك، وهو " صاحبُ مذهبٍ في الأوصافِ والتشبيهات"[1]، " وله التشبيهات المثليَّة، والاستعارات الشكليَّة، والإشارات السحريَّة، والطرائف الفنونيَّة"[2].

أمّا الأمر الثّاني الذي استند إليه الصّديق في دعم رأيه في تفضيل الصّبوح فيتمثلُ في الإشارة إلى ما يتركه شربُ الليل من آثارٍ نفسيةٍ وجسديةٍ تصيبُ الشّاربين، إذ إنّ من شأن الغبوق أن يؤذي، ويطمس العقول والأذهان، يقول:

وَقالَ شُرْبُ اللَّيْلِ قَدْ آذانا وَطَمَسَ الْعُقُولَ وَالْأَذْهانا[3]

يتجلى في هذا البيت الاستدلال السببي القائم على الربط بين السّبب والنتيجة، إذ إنَّ (الإيذاء) و(طمس العقول والأذهان) يشكلان نتيجةً سببها الغبوق أو الشّرب في الليل، وقد وُظِّفَ الاستدلال السّببي بغية التّأثير في المتلقي وإقناعه بالعدول عن الغبوق، ما يشي بحضور دلالتي الترهيب

---

[1] معاهد التنصيص على شواهد التلخيص: عبد الرحيم بن أحمد العباسي، حققه وعلق حواشيه ووضع فهارسه: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، 1947، ص159.

[2] رسائل الانتقاد في نقد الشعر والشعراء: ابن شرف القيرواني(ت 460هـ) تح: حسن حسني عبد الوهاب، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ط1، 1983، ص33.

[3] ديوان عبد الله بن المعتز، ص306.

(من الغبوق) والتّرغيب (بالصّبوح)، وهما دلالتان مهمّتان في الخطاب الحجاجي، وتنضويان ضمن مبدأ (الباتوس) [1] الذي يركّز على إثارة الحال العاطفية أو الانفعالية لدى المتلقي.

وفضلًا عن ذلك، فإنَّ هذه النتيجة (الإيذاء، وطمس العقول) تمثّل في الوقت نفسه سببين يندرجان ضمن السُّلم الحجاجي، وظفهما ابن المعتز لرفض الغبوق، وتفضيل الصّبوح.

ويُختتَمُ هذا الجزء من الخطاب الحجاجي بنبرةٍ تهكميّةٍ تدلُّ على ثقة الصّديق برأيه في القضيّة، يقول ابن المعتز على لسان صديقه:

قُلْ لِي أَهَذَا حَسَنٌ بِاللَّيْل وَيْلِيَ مِمَّا تشْتَهِي وَعَوْلِي[2]

يشي هذا البيت بمعنى مضمرٍ يتمثل في تأكيد رأي الصّديق بأنَّ من يشربُ في اللّيل سوف يُحرَمُ من رؤية جمال الطّبيعة. وقد أحسنَ ابن المعتز إنهاء خطاب الصّديق بهذا البيت لما يحمله من استفهام يتطلبُ جوابًا أو ردّاً، ما يتيح للشاعر إمكانية عرض رأيّهِ المخالف لرأي صديقه.

3- المحور الثَّالث: ردُّ ابن المعتز على رأي صديقه:

يشغلُ ردُّ ابن المعتز على قول صديقه وحججه القسمَ الثّالث من الأرجوزة، وفيه يسهب الشّاعر بدحض خطابِ الخصم من خلال الأدلة والبراهين التي تجلّت في الأسس الآتية:

أ ــ الإشارة إلى كذب الصديق:

[1] يركز مبدأ (الباتوس) على إثارة انفعال المتلقي، وتحريك الأهواء بهدف الإقناع، ينظر: الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، أمينة الدهري ص162.

[2] ديوان عبد الله بن المعتز، ص308

يطلب ابن المعتز من صديقه أن يبيتَ عنده، لكنَّ الأخير يعتذر مُتذرِّعًا بأنَّ له حاجة يقضيها، وأنه سوف ينضمُّ إلى مجلس الشَّاعر وندمائه بعد أن يفرغ من حاجته، لكنه يتأخر بالانضمام إليهم، وفي ذلك يقول ابن المعتز:

لِي حاجَةٌ لاَ بُدَّ مِنْ قَضــائِهــا لَتَسْتَرِيحَ النَّفْسُ مِنْ عَنائِها

ثُمَّ أَجِي وَالصُّبْحُ فِــي عِنــان مـــن قَبْــلِ نَــقْــرَةِ الْأَذَان

ثُــمَّ مَــضَى يُــوعِدُ بِـالْبُكُورِ وَهَـــزَّ رأْسَ فَــرِحٍ مَسْرُورِ

فَقُمْتُ مِنْــهُ خــائِفاً مُرْتــاعَا وَقُلْتُ نــامُوا وَيْحَكَمْ سِراعَا

وَنَحْنُ نُصْغِي السَّمْعَ نَحْوَ الْبابِ فَلَمْ نَجِدْ حِسًّا مِــنَ الْكَذَّابِ

حَتَّى تَبَّــدتْ حُــمْرَةُ الصَّــباحِ وَأَوْجَعَ النَّدْمانَ سوطُ[1] الرَّاحِ

ومــاَلَتِ الشَّمْسُ عَلَى الرُّؤُوس وَمَلَكَ السُّــكْرُ علَىَ النُّفُــوسِ

جــاَء بِــوَجْهِ بــــاردِ التَّبَسُّمِ مُفْتَضــحٍ لــما جَنَى مُــذَمَّمِ

يَعْثِرُ وَسْطَ الدَّارِ مِـــنْ حَيائِه ويكشفُ[2] الْأَهْدابَ مِــنْ رِدائِه

[1] ورد: **(صَوتُ)** في كتاب أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم، الصولي، ص254.
[2] ورد: **(وينتفُ)** في كتاب أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم، الصولي، ص254.

تعَطْـعِط الْقَوْمُ بِـــهِ حَتَّى بـدَرْ[1] وَافْتَتَحَ الْقَـــوْلَ بِـعِيٍّ وَحَصَرْ

وَجـاءَنـــا بِقِصَّـــةٍ كَذَّابَـــهْ لَـــمْ يَفْتَحِ الْقَلْبُ لـــهَا أَبْوابَهْ[2]

إنَّ تصريح ابن المعتز بكذبِ صديقه قد أسهم في تفنيد رأي الأخير على مستوى الخطاب الحجاجي الذي تقوم بنيته على أساسٍ مهمٍّ، أعني مبدأ الإيتوس (Ethos) [3] الذي يركّز على الجانب الأخلاقي في الخطاب، وتوضيح ذلك أنَّ القيمة الأخلاقية السلبيّة تقلل من شأن صاحبها، فيصير خطابه مشكوكًا فيه، فكأنّما أراد ابن المعتز من التّصريح بكذب الصّديق أن يكشف زيف خطاب الأخير، وضعف حججه، والتّشكيك بمصداقية أقواله، ما يفضي إلى غياب تأثير خطاب الصّديق في السامع أو المتلقي، ولم يغبْ عن ابن المعتز في هذا السّياق أنّ يبيّنَ آثار الكذب على وجه صديقه: (وجهٌ بارد التّبسم)، و على حركاته : (يعثر وسط الدار) (يكشف الأهداب) (تعطعط القوم)

ب ــ ذكرُ مساوئ الصّبوح:

[1] ورد: (**سدرْ**) في كتاب أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم، الصولي، ص254.

[2] ديوان عبد الله بن المعتز، ص308 ـ 309

[3] يرتبط مبدأ(الإيتوس) بالقيمة الأخلاقية التي تتسم بها شخصية الخطيب، ويمكن لهذه القيمة أن تؤثر في إقناع المخاطب. ينظر الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، أمينة الدهري، ص162.

عمدَ ابن المعتز في معرض حديثه عن مساوئ الصّبوح إلى تصوير آثاره السّلبية ومساوئه في فصلي الشّتاء والصّيف، ومن ذلك قوله مستعرضًا ما يتركه البرد من أعراضٍ نفسيةٍ وجسديةٍ تصيب الشّاربين:

إذا أَزِدتَ الشُّـرْبَ عِنْدَ الْفَـجْـــرِ وَالنَّجْمُ فِـــي لُجَّـــةِ لَيْلٍ يَسْرِي

وَكـــــانَ بَرْدٌ بـــالنـــسـيم[1] يَرْتَعِدْ وَرِيقُـــهُ عَلَى الثَّنايـــا قَدْ جَمَدْ

وَلِلْغُـــلامِ ضَـجـــرَةٌ وَهَمْـــهَـــمَهْ وَشَتْمَةٌ فِي صَـــــدْرِهِ مُجَمْجِمَهْ[2]

يَمْشِي بِـــــلا رِجْـــلٍ مِـنَ النُّعاسِ ويَدَفُقُ الْكَأْسَ عَلَى الجُـــــلاَّسِ

وَيَلْعـــنُ الَمـــولَى إذا دعـــــاه وَوَجْهُهُ إنْ جـــــاءَ فِـــي قَفاه

وَإنْ أَحَسَّ مِـــنْ نَـــدِيمٍ صَوْتـــا قـــــالَ مُجِيباً طَعْنَةً وَمَوْتـــا

فَإنْ طَـــرَدْتَ الْبَرْدَ بـــالســـنّورِ[3] وَجِئْتَ بالْكـــــانون[4] وَالسَّـمُّورِ

[1] ورد: **(والنديم)** في كتاب أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم، الصولي، ص255.

[2] مجمجمة: غير ظاهرة.

[3] السنّور: لبوس كالدرع

[4] ورد: **(بالكافور)** في كتاب أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم، الصولي، ص255.

فَأَيَّ فَــضْــلٍ للصَّبُــوحِ يُــعْرَفُ عَلَى الْغَبُــوقِ وَالظَّــلامُ مُسْدِفُ[1]

وَقَــــدْ نَسِيــتُ شَرَرَ الْكــانُــونِ كَــــأَنَّــهُ نُثــارُ يـــــاسَمِينِ

تَرْمِــي بِــهِ الْجَمْرُ إِلَى الْأَحْــداقِ فَإِنْ وَنَى قَرَطسَ فِــي الْآمــاقِ[2]

وَتــرَكَ النّياطَ[3] بَــعْدَ الخــمــد ذا نُقَــــطٍ سُــــودٍ كَجِلْدِ الْفَهْدِ

وقُطِــــعَ الْمَجْلِسُ فــــي اكْتِئَــابِ وَذِكْرِ حَــــرْقِ النَّــــارِ لِلثِّيــابِ

وَلَــمْ يَزَلْ لِلقَــــوْمِ شُغْلاً شــاغِلاً وَأَصْبَــحَتْ جِبــابُهُمْ مَناخِــلا

حَتَّى إذا ما ارْتَفَعَتْ شَمْسُ الضُّحَى قــيلَ فُــــلانُ و فُلانٌ قَدْ أَتَى

وَرُبَّمــــا كــــانَ ثَــقِيــلاً يُحْتَشَــمْ فَطُوِّلَ الْكَــلامَ حِيــناً وجشــم[4]

ورَفَــعَ الرَّيــحَــانَ وَالنَّــبــيــذا وَزالَ عَنّــا عيشــنــا اللَّذِيــذا

وَلَسْتَ فِي طُــولِ النَّهــارِ آمِناً مِــنْ حــادِثٍ لَمْ يَكُ قَبْلُ كائِنا

---

[1] مسدف: مرخٍ ستوره

[2] ونى: ضعف. قرطس الرامي: أصاب القرطاس وهو الهدف المنصوب.

[3] ورد: **(البساط)** في كتاب أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم، الصولي، ص256. والنياط: القلب.

[4] جشم: تكلف على كره.

أَوْ خَـــبَـــرٍ يُـــــكْرَهُ أَوْ كِتَـــابِ يَقْطَعُ طـيبَ[1] اللَّهْوِ وَالشَّرَابِ[2]

يُلاحظ أنَّ الأدلة التي ساقها ابن المعتز في هذه الأبيات تتدرج ضمن مبدأ اللوغوس (Logos) [3] الذي يركّز فيه المتكلّم على الحجج المنطقية والأدلة العقليّة في الإقناع، فمن المعلوم أنّ البردَ يشتدُّ في وقت الفجر، فيلجأ الشّاربون إلى طلب الدفء بإشعال النّار، فيتطاير شررُ الجمر ليصيب ثياب النّدماء وأجسادهم، فينتهي بهم الحال إلى قطع المجلس باكتئاب، وفضلًا عن ذلك، فإنه في وقتِ الصّباح قد يأتي زائرٌ أو ضيفٌ محتشمٌ، أو يصل إلى أسماع الشّاربين خبرٌ سيءٌ يجبر النّدماء على تركِ مجلسهم ولهوهم، ولا بد من الإشارة في هذا السياق إلى أن الأداة (ربما) تعدُّ من العوامل الحجاجيّة التي تفيدُ حصر الإمكانيات الحجاجية[4]، ويُقصد بذلك أنَّ ابن المعتز قد عمد في ردّه على صديقه باحتمالية مجيء ضيف إليهم، فيقطع مجلسهم.

أما فيما يخصُّ الصّبوح في الصّيف فليس الحال فيه بأفضل من حاله في الشّتاء، فالحرُّ الشّديدُ يؤدي إلى سوءٍ في المزاج، وازديادٍ في الضّجيج والخلاف، يقول:

وَإِنْ أَرَدْتَ الشُّرْبَ عند الْفَجْرِ وَالصُّبْحُ قَدْ سَلَّ سُيُوفَ الْحَرِّ

---

[1] ورد: **(طول)** في كتاب أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم، الصولي، ص257.

[2] ديوان عبد الله بن المعتز، ص309 ـ 310

[3] يُعنى مبدأ (اللوغوس) بالنصِّ الخطابي أو اللغة، وتتمثل وظائفه في عرض القضية الخلافية، ومناقشتها، بغية تقليص المسافة بين المتخاصمين، ينظر: الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، أمينة الدهري، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، ط1، 2011، ص170

[4] اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، ص27.

فَســـاعَةٌ ثُمَّ تَجِيءُ الدَّامِغَهْ بِنارِها فَـــلا تَسُوغُ ســـائِغَهْ

وَيَسْخَـــنُ الشَّرابُ وَالِمـــزاجُ وَيِكْثُرُ الخْـــلافُ وَالضِّجاجُ

مِنْ مَعْشَرٍ قَدْ جُرِّعُوا حْمَيما وَطْعِموُا مِـــنْ زادِهِمْ سُمُومَا

وَأَوْلَعُـــوا بِالْحَـــكِّ والتّفَرُّكِ وَعَصَبُ الآبـــاطِ مثل الْمَرْتَكِ[1]

وَصـــارَ رَيْحـــانُهُمُ كَالْقَتِّ[2] فكُلُّهُـــمْ لِكُلِّهـــمْ ذُو مَـــقْتِ[3]

من يتأمّلُ هذه الأبيات يدركُ حرصَ الشّاعر على تتبع ما يتركه الحرِّ الشّديد على الشّاربين من أثارٍ نفسيّةٍ (يسخن المزاج، يكثر الخلاف والضّجاج) وجسديّةٍ (الحكّ، والتّفرك، والرائحة الكريهة) وعلى تصوير تلك الآثار والأعراض تصويرًا دقيقًا بغية التأثير في المتلقي وإقناعه بمساوئ الصّبوح إلى أن يختم قصيدته بالإشارة إلى أنَّ أسباب ذمِّهِ الصّبوح أكثر ممّا ذكره، داعيًا السّامعين أو المتلقين إلى التجربة والتفكّر بأسبابه وحججه، وفي ذلك يقول:

هَذا كَذا وَما تَرَكْتُ أَكْثَرُ فَجَرِّبوا ما قُلْتُهُ وَفَكِّروا[4]

[1] المرتك: اسم دهن

[2] القتُّ: حب بري.

[3] ديوان عبد الله بن المعتز، ص311.

[4] ديوان عبد الله بن المعتز، ص312.

وهنا لا بد من الإشارة إلى مبدأ مهمٍّ في الخطاب الحجاجي وهو ما يتعلّق بالتّجربة والتّفكير، ذلك أن من شأن الدّعوة إلى هذين الأمرين ما يحيل إلى ثقةٍ يتمتّع بها صاحب الخطاب أو القول، ما يسهم في تعزيز موقفه الحجاجي، ويشي بمصداقية أقواله.

وبذلك يكون ابن المعتز قد استوفى في أرجوزته مبادئ الخطاب الحجاجي وأسسه، فذكرَ في مطلعها القضيةَ الخلافية، ثم بيّنَ أقوال صديقه فيها، مستعرضًا أدلته وحججه، ليخصص بعد ذلك الجزء الأخير من الأرجوزة لتفنيد زعمِ صديقه ودحض حججه بما ساقه من أسباب تدعم قوله في ذمِّ الصّبوح، وتثبتُ رأيه فيه، وكلُّ ذلك جاء بأسلوبٍ شعريٍّ تجلّت فيه موهبته الشّعريّة، وقدرته البلاغيّة، وتمكّنه في أسلوب الحجاج، ولاسيّما أنّه قد حققَ نوعًا من التّوازن بين الوظيفة التأثيرية التي تمثلت فيما أبدعه من أوصافٍ وتشبيهاتٍ واستعاراتٍ، والوظيفة الإقناعية التي تمثلتْ في مناقشة القضية الخلافية، وعرضِ أقوال طرفيها، ومحاولة كلِّ طرفٍ منهما أن يقنع الآخر برأيه.

وتأسيسًا على ذلك، يمكن الوقوف عند أبرز الوسائل الأسلوبية التي جسّدتْ جمالية القصيدة وشعريتها، أهمها:

1- الصّور الفنيّة:

على الرّغم ممّا تضمنته الأرجوزة من مقوّمات الخطاب الحجاجي إلا أن ذلك لم يحل دون بروز الصّور الفنيّة التي جسّدت شعريتها، وقد تجلّى ذلك فيما أبدعه ابن المعتز من تشبيهاتٍ واستعاراتٍ، ولاسيما الحسيَّ منها، إذ حرصَ على تصوير كل ما تراه عيناه تصويرًا دقيقًا يدلُّ على رقة إحساسه، ورهافة مشاعره، ومن ذلك قوله في وصف الطّبيعةِ على لسان صديقه:

وضَحِــكَ الوَردُ على الشَّقَائِقِ واعتَنَقَ القَـطرَ اعِتنَاقَ الوَامِــقِ

ويَاسَمين في ذُرَى الأَغصـــانِ مُـــنـــتَطِـــماً كَـــقِطَـــعِ العقيَانِ

والسّرو مِثلُ قِطـــعِ الزَبَـرجَدِ قَـــد استَمدَّ المَاءَ مـــن تُربٍ نَدي

والسَّوسَنُ الآزِرُ مَنثورُ الحلَلِ كَقُطُنٍ قَـــد مَسَّهُ بَعـــضُ البلَلِ[1]

تتبدى جمالية هذه الأبيات من خلال ما تضمنته من تشبيهاتٍ واستعاراتٍ أضفتْ حركةً وحيويةً على وصف الطّبيعة، وأبرزتْ حرصَ صاحبها على العناية بأدقِّ التفصيلات، فهو لم يترك نوعًا من أنواع الزهر إلا واستحضر له تشبيهًا يلائمه، أو استعارةً تناسبه، فالورد يضحك للشقائق، والياسمين ينتظم، وكأنه ذهبٌ خالصٌ، والسُّوسن يبدو كقطنٍ أصابه البلل.

ويمكن أن نعزو جمالية التصوير في الأرجوزة إلى أمرين اثنين:

1- إبداع الشاعر في فنِّ التّشبيه الذي شُغِفَ به، حتى غدا سمةً تميّز شعره، وطريقةً ينقاد إليها طبعه. يقول ابن رشيق:" لابد لكل شاعرٍ من طريقة تغلب عليه فينقاد إليها طبعه، ويسهل عليه تناولها: كأبي نواس في الخمر، وأبي تمام في التصنيع، والبحتري في الطيف، وابن المعتز في التشبيه...."[2]

[1] ديوان عبد الله بن المعتز، ص307.

[2] العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ابن رشيق القيرواني(ت 456هـ) تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، لبنان، ط5، 1981، ص287.

2- شغفُ الشاعر بالطبيعة، وحبّهُ لها" فكانت أقوى ما يأسر لبه"[1]، وحرصه على رصد مظاهرها المختلفة، وتفصيلاتها الدقيقة، بغية البحث عن مصدر الجمال فيها.

ولم تخلُ الصّور الفنيّة من طرافةٍ دلتْ على حسٍّ فكاهيٍّ تمتّع به الشّاعر، وقد تجلّى ذلك في أكثر من موضعٍ، منها قوله في وصف تذمّر السّاقي:

وَيَلْعنُ المَـولَى إذا دعـاهُ وَوَجْهُهُ إنْ جاءَ فِي قَفاهُ

وَإنْ أَحَسَّ مِنْ نَدِيمٍ صَوْتا قالَ مُجِيباً طَعْنَةً وَمَوْتا[2]

وكذلك قوله في تشبيه ما يحدثه شَرَرُ النّارِ بعد الخمد من ثقوبٍ تظهر على ثياب الشّاربين حتى تبدو وكأنها جلدُ فهدٍ، يقول:

وتركَ النِّياطَ بعدَ الخمدِ ذا نقطٍ سودٍ كجلدِ الفهدِ[3]

وكثيرةٌ هي المواضع التي برزتْ فيها الصُّورُ الطّريفة التي أسهمتْ في التّخفيف من حدّة الخطاب الحجاجي وجديته.

[1] تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري، محمد نجيب البهبيتي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1950، ص512.

[2] ديوان عبد الله بن المعتز، ص309.

[3] المصدر نفسه، ص310.

2- السّرد:

السّرد لغة: " تقدمة شيء إلى شيء تأتي به متسقًا بعضه في أثر بعض متتابعًا. سرد الحديث ونحوه يسرده سردا إذا تابعه. وفلان يسرد الحديث سردًا إذا كان جيد السياق له." [1]

أمّا السّردُ في الاصطلاح فيُعرّفُ بأنّه " الكيفية التي تُروى بها القصة، والحكي طبيعته قصةٌ محكيةٌ يفترض وجود شخصٍ يحكي وشخصٍ يُحكى له." [2]

على الرّغم ممّا تفرضه القافيةُ الشّعريةُ من قيودٍ من شأنها أن تحدَّ من إمكانية السّرد المتتابعِ إلا أنَّ ابن المعتز قد استطاع أن يسردَ في أرجوزته أحداثًا متتابعةً قامتْ بها شخصياتٌ في حدودٍ زمانيةٍ ومكانيةٍ، ما أسهم في تجسيد عناصر السّرد، مثل:

أ ـ الحدث:

يشكّلُ لومُ الصّديق الحدثَ الرئيس في القصيدة، إذ تمخّضَ عنه جملةٌ من الأحداث الفرعية، منها ما ارتبط بشخصية الصّديق الذي أخذ يشرحُ أسبابَ اللوم ودواعيه، ومنها ما ارتبط بشخصية ابن المعتز الذي وجد نفسه ملزمًا بالردِّ على لوم صاحبه، وما بين هذا وذاك، تتابعتِ الأحداثُ، وكثرتِ الأفعال، ولا سيّما في الجزء الذي تحدّثَ فيه الشّاعر عن انتظاره لصديقه الذي وعده بأنّه سوف يأتي إليه بعد قضاء حاجته، ثم تبيّنَ بعد ذلك أنَّ صديقه قد كذبَ عليه. وقد وظّفَ ابن المعتز هذا الحدثَ في تفنيد زعم صاحبه، والتّشكيك بمصداقيته كما أشرنا إلى ذلك آنفًا.

ب ـ الشخصية:

---

[1] لسان العرب، ابن منظور، مادة (سرد)

[2] بنية النص السردي، حميد لحمداني، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1991، ص45.

تعدُّ الشّخصية من العناصر المهمّة في البنية السّردية، وقد برزت في الأرجوزة شخصياتٌ يمكن أن تُصنّفَ بأنّها شخصياتٌ رئيسةٌ مثل شخصيتي ابن المعتز، وصديقه، وأخرى ثانوية مثل شخصية السّاقي، والندماء. وقد ذكر الشّاعر بعض صفات الشّخصيات، فعرفَ المتلقي أنَّ الكذب من صفات شخصية الصّديق الذي قُدِّمَ في الأرجوزة بوصفه إنسانًا محبّاً للشربِ واللهو في الصّباح، لأنَّ هذا الوقت يتيح له إمكانية التّمتّع بجمال الطّبيعة، بخلاف الشّاعر الذي لم ينكر حبّه للطبيعة، لكنّه اختلف مع صديقه في الوقت المفضّل للشرب، ليشكّل الخلاف بينهما صراعًا دراميًا تجلّت ملامحه في السّياق الشّعري.

أما الشّخصيات الثّانوية فلم تشكّل حدثًا مهمًا على مستوى الصّراع بين الصّديقين، لكنها أدتْ وظيفةً مهمّةً في السّياق الشّعري، إذ استند إليها ابن المعتز في تأكيد موقفه، وشرح أسبابه التي تدفعه إلى كره الصّبوح، وقد تجلّى ذلك في تصوير مجلس الشّرب في فصلي الشّتاء والصّيف، ومنه قوله مصوِّرًا الحال النّفسيّة لشخصية الغلام في البرد:

وَكــانَ بَرْدٌ بالنسيـم يَرْتَعِدْ وَرِيقُـهُ عَلَى الثَّنايــا قَدْ جَمَدْ

وَلِلْغُــلامِ ضَـجرَةٌ وَهَمْهَمَهْ وَشَتْمَةٌ فِــي صَدْرِهِ مُجَمْجِمَهْ

يَمْشِي بِلا رِجْلٍ مِنَ النُّعاسِ ويَدَفُقُ الْكَأْسَ عَلَى الجُلاَّسِ[1]

وقوله في تصوير معاناة شاربي الصّبوح في وقت الحرِّ الشّديد:

[1] ديوان عبد الله بن المعتز، ص309

وَأَوْلَعُـــوا بِالْحَــكِّ وَالتَّفَرُّكِ وَعَصَبَ الْآبَاطُ أَمْرَ الْمَرْتَكِ

وَصـــارَ رَيْحـــانُهُمُ كَالْقَتِّ فَكُلُّهُـمْ لِكُلِّهـــمْ ذُو مَقْتِ[1]

يصوّر ابن المعتز في هذين البيتين الأثر الذي يتركه الحرُّ الشّديد على الشّخصيات، فيصفُ أفعالها وحركاتها حتى تبدو وكأنّها ماثلةٌ أمامنا، وهذا ما جعل أرجوزته تتسم بالحركة والحيوية.

ج ـ البوليفونية:

يعني مصـــطلح البوليفونية تعدّد الأصـــوات. وهو مفهومٌ موســيقيٌّ يقوم "على مجموعةٍ من الأصـوات أو النّغمات المختلفة في آنٍ واحدٍ، إلّا أنَّ هذه الأصـوات تتكوّن من لحنٍ أسـاسـيٍّ له الصّـدارةُ، تسـانده مجموعةٌ من الأصـوات التّابعة له، التي ليس لها من أهميّةٍ لحنيّةٍ أو اسـتقلاليةٍ إيقاعيةٍ، ما يرقى بها إلى الوقوف في مستوى كامل القيمة مع اللحن الأساسي"[2].

وقد جاء مصـطلح البوليفونية من التّأليف الموسـيقي القائم على تعدّد الأصـوات، ثمَّ صـار هذا المصطلح يُطلقُ على الأعمال السّردية التي تبرزُ فيها رؤى مختلفة، ولا تتبنّى أيدلوجيةً واحدةً.

ويعرّفُ باختين الرّواية البوليفونية بأنّها روايةٌ متعدّدةُ الأصـــوات "ذات طابعٍ حواريٍّ على نطاقٍ واســـعٍ. وبين جميع عناصـــر البنية الرّوائية، توجد دائماً علاقات حواريّة، أي إنَّ هذه العناصـــر

[1] ديوان عبد الله بن المعتز، ص311.

[22] حوارية الخطاب الروائي، التعدد اللغوي والبوليفونية، محمد بو عزة، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة– مصر، ط1، 2016، ص82.

جرى وضـع بعضـها في مواجهة بعضـها الآخر مثلما يحدثُ عند المزج بين مختلفِ الألحان في عملٍ موسيقي"[1].

وبناءً على ذلك، فإنَّ الرّواية البوليفونيّة روايةٌ حواريةٌ، تتعدّدُ فيها الأصـــوات، وتختلفُ فيها وجهات النظر، والرؤى الفكريَّة، وتتيحُ نوعاً من الاستقلاليّة للشّخصيّة الرّوائية، وهذا ما تجسّدَ في روايات دوستويفسكي التي اتّسمتْ بخصوصيةٍ مميّزةٍ تجلّت في تقديم الشّخصيّات بوصفها ذواتٍ "غيريّةً (تخصُّ الغير)، دون أن يسبغَ عليها جواً من الغنائية، ودون أن يمزج صوته معها."[2]

وإذا ما أردنا تتبعَ البوليفونية في أرجوزة ابن المعتز فســوف يظهرُ أنَّ تعدد الأصــوات قد تجلّى فيها تجليًا واضحًا، إذ حرص الشّاعر على تقديم صوتين مختلفين، هما صوته وصوت صديقه، ولكلٍّ صـوتٍ منهما خطابه الخاصِّ به، وقد بيّنا فيما تقدّم أنَّ هذين الصُّـوتين قد تعارضــا حول قضية الصّبوح والغبوق، وقد تمخّض عن تعارضهما واختلافهما خطابان حجاجيان، الأوّل منهما فضّل الصّبوح، واستعرض أسبابه ومسوّغاته مثل جمال الطّبيعة في وقت الصّباح، والثّاني رأى في الغبوق أفضـل الأوقات للشـرب واللهو، وقد اسـتند كلٌّ صـوتٍ منهما في دعم رأيه إلى حجج وبراهين وُظِّفتْ في دحض الصّوت الآخر.

لقد أدّى تعدد الأصــوات دورًا مهمًا في بنية الخطاب الحجاجي في الأرجوزة، إذ اســتعان به ابن المعتز ليعرض القضــية الخلافية بينه وبين صــديقه، ولم يكتفِ الشّــاعر بعرض الصــوتين المتناقضــين وإنّما حرصَ على جعلِ كلٌّ صــوتٍ منهما يقدّم مســوّغاته التي تدعم موقفه، ليجد

[1] شعرية دوستويفسكي، ميخائيل باختين، ، تر: جميل نصيف التكريتي، مراجعة حياة شرارة، دار توبقال للنشــر، الدار البيضــاء– المغرب، ودار الشــؤون الثقافية العامة، بغداد– العراق، ط1، 1986، ص59.

[2] شعرية دوستويفسكي، ميخائيل باختين، ص19.

المتلقي نفسه أمام خطابين مختلفين، وهذا ما يذكّرنا بأسلوب المناظرات العلمية التي انتشرت في العصر العباسي بين النّحويين وعلماء الفرق الكلامية، لتشكّل هذه القصيدة صورة حيّة للحياة الثقافية والاجتماعية في المجتمع العربي في ذلك العصر.

الخاتمة:

خلص البحثُ إلى النتائج الآتية:

1- إنَّ أرجوزة (ذمّ الصّبوح) لابن المعتز ليستْ قصيدةً في اللّهو والمجون فحسب، وإنما هي خطابٌ حجاجيٌّ تجلتْ فيه المبادئ الخطابية الثلاثة: (الإيتوس) و(الباتوس) و(اللوغوس) فضلًا عمّا تضمنته من عرضٍ لأقوال الخصمين في القضية الخلافية المتمثلة في الاختلاف بين الصّبوح والغبوق، ممّا أسهم في تجسيد البوليفونية أو تعدد الأصوات.

2- حرص ابن المعتز في أرجوزته على مناقشة القضية الخلافية من خلال ما قدّمه الطرفان من أدلةٍ وبراهين تدعم رأي كلِّ واحدٍ منهما، وتفنّد زعم الآخر وتدحضه، وذلك قبل أن ينهي القصيدة بدعوةٍ إلى التجربة والتّفكر.

3- لم يحل أسلوب الخطاب الحجاجي في الأرجوزة دون بروز الوسائل البلاغية التي أضفت على أبياتها جماليةً شعريةً تجلتْ في التّشبيهات والاستعارات.

4- تجسّدت عناصر القصّة في أرجوزة (ذمّ الصّبوح) من خلال السّرد الذي تجلى في كثرة الأفعال، وتتابع الأحداث، والشخصيات الرئيسة منها والثّانوية.

5- إنَّ أرجوزة ذمِّ الصّبوح لابن المعتز يمكن أن تعدَّ وثيقة أدبيّة تبيّنُ مظاهر الحياة الثّقافية والاجتماعيّة في العصر العباسي.

قائمة المصادر والمراجع:

1- أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم، أبو بكر الصولي، مطبعة الصاوي، ط1، 1936.
2- بنية النص السردي، حميد لحمداني، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1991.
3- تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري، محمد نجيب البهبيتي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1950.
4- الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، أمينة الدهري، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، ط1، 2011.
5- حوارية الخطاب الروائي، التعدد اللغوي والبوليفونية، محمد بو عزة، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2016.
6- ديوان عبد الله بن المعتز، فسر ألفاظه الغريبة ووقف على طبعه محيي الدين الخياط، مطبعة الإقبال، بيروت، د.ت.
7- رسائل الانتقاد في نقد الشعر والشعراء: ابن شرف القيرواني(ت 460هـ) تح: حسن حسني عبد الوهاب، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ط1، 1983.
8- شعرية دوستويفسكي، ميخائيل باختين، ، تر: جميل نصيف التكريتي، مراجعة حياة شرارة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء- المغرب، ودار الشؤون الثقافية العامة، بغداد- العراق، ط1، 1986.
9- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ابن رشيق القيرواني(ت 456هـ) تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، لبنان، ط5، 1981.
10- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ.
11- اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، دار العمدة، المغرب، ط1، 2006.
12- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص: عبد الرحيم بن أحمد العباسي، حققه وعلق حواشيه ووضع فهارسه: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، 1947.

13- معجم تحليل الخطاب، باتريك شارودو . دومنيك منغنو، تر: عبد القادر المهيري، وحمادي صمود، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، ط1، 2008.
14- من حديث الشعر والنثر، طه حسين، دار المعارف، مصر، ط1، 1936.
15- من غاب عنه المطرب، أبو منصور الثعالبي، المطبعة الأدبية، بيروت، ط1، 1309 هـ.
16- نظريات الحجاج، قراءة في نظريات معاصرة، جميل حمداوي، بحث منشور في مجلة المنهاج، ع: 70، صيف 2013.
17- الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ط1، 2000.
18- وفيات الأعيان، وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1، 1900.

الدوريات والرسائل الجامعية:

1- الشعر التعليمي في القرون الأربعة الأولى، عصمة غوشة، رسالة دكتوراه، إشراف : شوقي ضيف، سنة 1970.
2- نظريات الحجاج، قراءة في نظريات معاصرة، جميل حمداوي، بحث منشور في مجلة المنهاج، ع: 70، صيف 2013.